

حرر على عجل



كان الكتاب المقلدون حتى اليوم الذي حبوت فيه الى القلم ثم نهضت منه على ساقى طالعاً أتمنى لنفسي حظاً من أدب ونصيلاً من بلاغة ، حتى ذلك الحين كان اولئك الكتاب من فلول (الفترة) يختمون ما يكتبون من سجعهم البارد بمثل العنوان لهذه المقدمة الذي جعلته عوضاً عن (التقديم) وما بمعنى هذه الكلمة التي افترق المحدثون من اصحابنا بالتعبير عنها .

وكان الشعراء من اخوانهم المعدودين من طبقتهم والمطبوعين على ذلك الغرار من (الادب التقليدي) يحذون حذوهم هذا فيختمون ، قصائدهم ببيت لا تخلو منه قصيدة ، فهو مفروض في ختامها فرض (الفاتحة) في مطلع الصلاة - كما يقول الفقهاء - ، وكان هذا البيت ، الذي لم يكن 'بملى' ، يتضمن معنى (حرر على

عجل) ولكن بصيغة شعرية تشرب من القاعدة الادبية القديمة
(اكذب الشعر أعذبه)

وأظن انك مستطيع الآن ان تسبقني الى التصريح بمفاد
هذا (البيت) الذي لم يكن يتجاوز ادعاء الشاعر بانه نظم قصيدته
(بنت ساعتها) فان تواضع قصيدته (بنت ليلتها) ...!

*

وقد فتحت عيني - يوم فتحتها - على هذا التقليد فرأيت ان
هؤلاء واولئك يقصدون من النص على (العجلة) الى احد امرين :
إما الاعتذار عما في (منشئاتهم) من ضعف النسيج ، أو ركة
الاسلوب ، أو تواضع الصنعة ، وإما اظهار البراعة والتفوق ،
والتبجح بالمقدرة العظيمة التي جمعت بين السرعة والجودة ، وربما
قصد بعضهم الى الجمع بين الامرين : الاعتذار عما يظهر بعدئذ في
آثاره من عيب لم يفتن هو اليه ، والاعتداد بهذه العارضة القوية
المندفقة التي تملأ الصفحة ... بارك الله !... بسبيكة في ساعة أو
في ليلة ؟...!

*

وأنا الان بين يدي كتاب بل بين يدي حلقات من الكتب كلها
حررت على عجل . ترى أخطر ببالي ان احيي تلك السنة (الادبية)
الميتة فأتأثر بعدواها بعد ان تأثرت بها وهي حية قبل عشرين سنة
ونيف ، وكنت لما ازل ناشئاً بالقياس الى الاعمار الادبية ...؟
الواقع اني لم افكر قط في ان اعتذر عما يظهر من عيوب فيما
تقرأونه في هذا الكتاب أو في هذه الحلقات من الكتب لاني لا

أرى العبرة في السرعة ولا بالابطاء ، فكلاهما سيان في نظر الناقد ،
وانما العبرة بالجودة والرداءة في الانتاج . أما مدة العمل فلا يعتبرها
(النقد) عنصراً جوهرياً وهو يوازن بين هذه وتلك من الفكر
والاماليب والصيغ . وما يضره ان تتأني وتتوى وتحك وتعدل .
كما لا ينفعه ان تسف وتهلhel ، وترك وتسفل . وانما هو منك
حكم يقضي بما يدينك به مستنداً الى الوثائق المحسوسة وان كان
للظروف النفسية والزمنية بعض الشأن في الحكم على قيم الملكات لا
الاثار وذلك لا ينفع النص باكثر من الاستشناس .

كما اني لم افكر بان ازهو واعتد بما اجتمع لسويعاتي في مساء كل
يوم من السرعة والجودة لاني لا اعتبر ذلك الا اثراً طبعياً من
آثار موهبة تؤدي عملها . وما احببت لحظة من عمري ان ادعو
الناس الى ان يكرهوا الموهبة التي احببتها وانجبتها . واني لاعلم ان
دعوة الناس الى اكبارها وحبها ليست الا دعوة الى كراهيتها
بحكم الفريزة التي طبع عليها الناس في هذا الباب لاتصالها بالانانية
بمعنى من المعاني . لذلك لم احاول مرة ان اشغل الناس بنفسي ،
وحاولت ان اخفف عنهم ما استطعت ، مؤمناً ان (الغيرة) - وهي
قلما تتفق للاديب - عنصر خلقي لا بد منه للانسان قبل ان يكون
اديباً . هذا مع علمي بان الاخذ باذقان الناس ليلتفتوا الى صناعي
مكرهين ليس بنافعي اذا لم يلتفتوا من تلقاء انفسهم مختارين .

*

لهذا وذلك جميعاً لم اقصد الى الاعتذار عن هنة ادبية حين تظهر
للناقد فيما سيقرا في به من الادب السياسي بخاصة ، ولم اقصد الى

الاعتداد بالسرعة كذلك وانما انا في سبيل تسجيل حقيقة واقعة سواء اكانت لي أم كانت علي وسيان عندي بعدئذ أحفل الناقد بما لديه من هذا الجهد أم استخف به ، واعني بذلك انني لم اجهد وانما واضع نصب عيني ما يقال ، وانما كنت اشعر بحاجة لا يسدها الا هذا الجهد ، وبعد ان وضعت هذا العبء فساكون منه على حياء حين يختلف فيه الناقدون وان كنت أعلم منه ما لا يعلمون .

*

والحقيقة التي اريد تسجيلها هي ان هذا الكتاب أو هذه الحلقات من الكتب ولدت على التتابع في ساعتين من كل يوم ، ولا اريد أن ادعوك الى ان تزهد بها ولا الى ان تكبرها ولكن اريد ان اقول لك اني أذبت فيها واعتصرتها من اعصابي وتفكيري وفهمي للامور التي توسطتها واقتحمت صميمها خلال هذه السنوات الاربع التي عملت فيها بالصحافة ، فخفضت بها معارك عدة لم يختلف لي في احداهن رأي لاني لم اخض واحدة منهن دون عقيدة ، كانت هي وحدها مصدر اتجاهاتي وتوجيهاتي جميعاً .

لقد كنت - وما أزال - استوي وراء المكتب بين الخامسة والسابعة من مساء كل يوم لا لأخط هذه السلاسل من الافتتاحيات فقط بل لانشيء (الساعة) التي أغدو بها على قرائي كل صباح وفيها اكثر من افتتاحية مما يقرأه الناس ويلذونه فكراً وخبراً .

وهذا وحده ليس بالامر اليسير على (فرد) قل ناصره ، فكيف اذا جمعت اليه ما يتبع التحرير من مشاكل السياسة التي لا يستطيع تجنبها الكاتب الحر ، ومشاكل الاقتصاد التي تتعب اصحاب الضمان

والمبادئ ، ومشاكل الطباعة وما تزال المطبعة في بغداد دون
القطاع في عمرها الحضاري ، ومشاكل الخصومات التي لم يؤخذ فيها
كاتب بمثل ما اوديت ، وما شئت من مشاكل وعقد كنت لا
استعين على حلها بغير (الوحدة) ان كانت الوحدة بما يستعان به
على حل المشكلات!

وما اريد ان اشكو ولكني اريد ان استعرض لاقول ان هذا
بما نفعتني في الاستفادة من هاتين الساعتين المسائيتين استوي فيها
وراء المكتب صادراً عن حياة متوهجة واقدة تمدني من حرارتها
وتكشفها بالمعرفة الطالعة بين ثنايا الحوادث ، والالام ، ومعاشرة بني
آدم (عليه افضل الصلاة والسلام؟!) فيزيد ذلك في قيمة ما
اعتصرته من الملمات بالحياة وبما قرأت جميعاً ، وبعينني تأثري واحساسني
بذلك كله على الافادة من هاتين الساعتين المسائيتين ، ما در به القلم
فيما سأقدمه اليك على دعاء (المطبعة) واحاديث الزائرين .

واكبر ما شكرت لذلك كله من يد ، صوغه قلبي على مثالين من
(الانسانية) و (الواقعية) ارجو ان يكون لهما اثر بعيد وعمر مديد .

*

وقد بدا لي وانا اقود هذه الدقة الصعبة وأسألم بحظي من
الخدمة العامة ان اخرج من جهادي بجهد دائم النفع فاني وجدت
العمل اليومي عملاً تأخذه الريح فلا يستطيع عبقرية النادر ان يعيش
اكثر من اسبوع ، وليست العبرة حياته بالذات ، وانما العبرة
عندي فيه حسن أثره ، ومقدار جدواه .

لذلك رأيت ان اعني قدر الامكان بتسجيل هذه الفترة التي

نجتازها عناية تصدر عن الحوادث وتتجاوزها الى مراحل التطور في نشوء الوعي النامي في ديوان يكاد يكون فريداً في هذه اللحظة .
فانت حين تمر بهذه السلسلة تستطيع ان تلم بما تشاء من حاجتك الى معرفة هذا الطور من اطوار العراق في سياسته وادبه واخلاقه وتفكيره واكثر اجوائه التي تقلب فيها خلال السنوات الاربع التي رافقتها (الساعة) .

ولن نحس وانت تستوعب المعرفة التي احدثك عنها بثقل الدرس لانك ستأخذ ما تريد دون مباشرة ولا فرض ، وما انت ازاء وقائع فقط ولا تعليق فقط ولا نظريات فقط ، وانما انت ازاء مزيج من هذا كله تداخل بعضه ببعض فحجب بعضه الاقبال على بعض .

وهذه ميزة كتبنا هذه التي اسميناها « في قطار الزمن » ، ملمحين بذلك الى ما قصدنا اليه من تاريخ التطور استناداً الى الاحداث .

وستمر في هذه الكتب بصور ومقالات كان للكثير منها صدى عظيم في الأوساط العراقية ولعل بعضها بما حفظته اضاير المهتمين بحفظ الكلمات التاريخية من اصحاب الدواوين ، ومن المراقبين للاطوار السياسية ، وسأحرص على تدوين ظرفها لأجل قدر المستطاع روحها التي تعينك على فهم عصرها وما يحيط بها ليطرد الغرض الذي من اجله احببت السفر « بهذا القطار » ... !

*

واني مخرج من هذه المجموعة الحلقة الاخيرة بما انتهت اليه ،

وكان الانسب ان اراعي الترتيب في اخراج هذه الحلقات ،
ولكن الحلقة الاخيرة استأثرت بالتقدم لأنها سجل الحركة من
حركات الانتقال الحاسمة في تاريخ العراق الحديث ، ولأنها صدى
للوثة الحادة يمتد الى ما شاء الله بعد هذا التاريخ .

وهذه الحلقة التي تسبق اخواتها الى الظهور هي (سحابة
بورتسموث) التي كنت اول من تفاءل بانها ستنقشع .

وفي هذا الكتاب تاريخ قصير للوثة العراقية في غرة عام ١٩٤٨
ولكنه تاريخ عريض يدرس المعاهدة الجائرة والانتفاضة الشائرة
وما بينهما من عوامل وظروف هيأت كلاً منهما على نحو ما جاء
بروح وطني خاضع للمنطق والاعتدال .

صدر الديبه سرف الديبه

نيسان ١٩٤٨